ويذكر القس «مسز آلفنج» «بماضيها السيء» وبذنوبها وآثامها التي اقترفتها في حق زوجها الراحل الطيب الذكر المرحوم «الكابتن آلفنج»، فهي تنسى أنها قد هربت منه يوماً ما، وأنها التجأت إلى «ماندرز» تصف له مدى تعاستها ويأسها، وترجوه أن يأويها، ولا ريب في أن هذا يعد تمرداً على أقدس الروابط الإنسانية، ولا يتفق مع تعاليم الكنيسة. وعندما تسمع «مسز آلفنج» هذا الكلام المؤلم من القس تضطر إلى أن تقص عليه أخبار زوجها بالتفصيل، فنعلم منها أن ذلك الزوج الذي قضت شطراً من عمرها في بناء أسطورة مكارم أخلاقه ومروءته، كان في الحقيقة خليعاً مستهتراً بكل القيم، وكان متهافتاً على شهواته الرعناء، غير مبال بعواطفها ـ هي الزوجة التعيسة ـ وقد أصيب بمرض «السفلس» من جراء مخالطته النساء، وقد مات بهذا الداء. أما الابن الذي جاء القس يلومها من أجله، ويحملها مسؤولية انحرافه، فإنها أرسلته إلى فرنسا في صغره لتبعده عن الجو الموبوء الذي كان يعيشه أبوه في المنزل، جو العربدة والفجور.

وفي نهاية المسرحية تكتشف أن الابن الشاب مصاب هو الآخر بداء «السفلس» الذي انتقل إليه من أبيه عن طريق الوراثة، كما تكتشف أنه أصبح يسلك مسلك أبيه تماماً، فلا يتورع عن العبث بخادمة أمه التي حملت منه.

ولعله من المفيد أن نشير إلى أن «إبسن» لم يعتنق المذهب الطبيعي في فترة من حياته عن اقتناع ودراسة موضوعية نظرية كما هو الأمر بالنسبة إلى «زولا» بل أخذ يجاري الطبيعيين بسبب ظروف خاصة في حياته، فقد «انجرف في تيار البوهيمية ووجد نفسه أباً لابن غير شرعي. وقد عرضه هذا للنقد والتجريح من الدوائر المحافظة على التقاليد، كما دفعه إلى تصور هذه العلاقة الآثمة في عدد مسرحياته»[١٢]. وكأن «إبسن» يتجه إلى الطبيعية ليحتج على انتقادات الناس، ويوحي إليهم بأنهم ليسوا أبرياء هم الآخرين، وليسوا بأحسن منه. وهذا ما أدى به إلى أن يحيد عن خطه الفني في المسرح، ذلك الخط الذي يمثل